الفَصْلُ الثَّانِي

ترجمة موجزة لبدر الدين العيني

اسمه ونسبته: هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود العِينْتَابي الحلبي ثم القاهري الحنفي المعروف بالعيني وكنيته: أبو الثناء، وأبو محمد. ولقبه: بدر الدين[١]، ينسب العيني -رحمه الله- لبلدة: عين تاب: وهي بلدة حسنة كبيرة ولها قلعة منقوبة في الصخر حصينة كثيرة المياه والبساتين تبعد ثلاث مراحل عن حلب كانت تعرف بدلوك ودلوك الآن حصن خراب وهي من أعمال حلب[٢].

مولده: ولد العيني -رحمه الله- في السادس والعشرين وقيل في السابع والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة (٧٦٢) في درب كيكن بعين تاب [٣]. اهـ

نشأته: نشأ العيني -رحمه الله- في بيت علم وصلاح وتقوى فأُسرة العيني مشهورة بالعلم والتدين فوالده وجده كانا قاضيين وأحد أجداده كان مقرئا للقرآن الكريم، وقد وجهه والده إلى حفظ القرآن الكريم وطلب العلم منذ طفولته. فحفظ القرآن الكريم بعين تاب وسمعه عن ظهر قلب على المعز الحنفي وسمع عليه الشاطبية وقرأ على والده الفقه ثم لازم العلماء في مختلف العلوم ونهل من فيض علمهم وبرع في هذه العلوم

---

(1) راجع: الضوء اللامع ص ١٠/ ١٣١، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ص ٨/١٦، الفوائد البهية في تراجم الحنفية للعنوى الهندى ص ٢٠٧

(2) راجع: معجم البلدان لياقوت الحموي ص ١٧٦/٤، الرسالة المستطرفة للكتاني ص ١٩٥-١٩٦

(3) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغرى بردى ص ٣٥٢/٨، التبر المسبوك للسخاوي ص ٣٧٥، الأعلام للزركلي ص ١٦٣/٧

وباشر النيابة عن والده في القضاء [1]. اهـ

رحلاته العلمية: كان العيني -رحمه الله- شغوفا بطلب العلم والاستزادة منه والتلمذة على أكابر علماء عصره.

لذلك نراه رحَّالة في طلب العلم ومجالسة جهابذة العلماء في الأقطار الإسلامية.

فقد رحل أولا إلى حلب وهي أقرب البلدان إلى بلدة عين تاب فرحل إليها سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة (٧٨٣) فقرأ بها على الجمال يوسف بن موسى الملطي وغيره.

ثم عاد إلى بلده حيث توفي والده في سنة أربع وثمانين وسبعمائة (٧٨٤) ثم رحل إلى حج بيت الله فحج ثم ذهب إلى دمشق ثم زار بيت المقدس سنة ثمان وثمانين وسبعمائة (٧٨٨) فلقي فيها علاء الدين السيرامي وانتفع بمقابلته ثم نزل معه إلى القاهرة وفي القاهرة ملتقى العلماء آنذاك أخذ العيني -رحمه الله- الحديث وعلومه عن كبار محدثيها كالعراقي والبلقيني وغيرهما[2].

شيوخه: ونظرا لشغف العيني -رحمه الله- بالتلقي عن العلماء في كل مكان فقد كثر شيوخه الذين أخذ عنهم العلم ومن خلال مطالعتي لكتب التراجم التي ذكرت شيوخه تبين لي أنه اشترك مع الحافظ ابن حجر في كثير من الشيوخ، كالعراقي والبلقيني والهيثمي ممن تقدم ذكرهم في شيوخ الحافظ ابن حجر فلا داعي لتكرار ذكرهم هنا لأن القصد هو الإيجاز

---

(1) راجع: عقد الجمان للعيني ص ٤٣٤/٢٦ – الضوء اللامع ص ١٣١/١٠

(2) راجع: الضوء اللامع ص ١٣١/١٠، الذيل على رفع الأصر ص ٤٣٠، مقدمة عمدة القاري للكوثري ص ٣، عقد الجمان ص ٣١٠/٢٦، ٣١١

والاختصار ولكن نذكر بعض الشيوخ الذي لم يتقدم ذكرهم.

فمن شيوخه الذي أخذ عنهم العلم واستفاد منهم: العلاء السيرامي[١] وعيسى بن الخاص[٢] وتقي الدين الدجوي[٣] وقطب الدين الحلبي[٤] والمعز الحنفي[٥] وغيرهم.

---

(1) العلاء السيرامي: هو «أحمد بن محمد بن أحمد السيرامي كان إماما متفننا متقنا متبحرا في العلم لاسيما علم المعاني والبيان والفقه والأصول. لازمه العيني ملازم شديدة أكثر من ملازمته لباقي شيوخه إلى أن مات في سنة تسعين وسبعمائة (٧٩٠)».
راجع: الدرر الكامنة ص ٣٢٨/١، أنباء الغمر ص ٣٥٩/١

(2) عيسى بن الخاص: «عيسى بن الخاص بن محمود السيرامي العينتابي الشهير بالفقيه المفسر شرف الدين». كان العمدة في المذهب الحنفي عالما عاملا فاضلا علامة دهره يقتدي به أهل عصره قرأ عليه العيني جملة من الكتب ولازمه فترة طويلة، توفي بعين تاب سنة ثمان وثمانين وسبعمائة (٧٨٨).
راجع: عقد الجمان ص ٣١٤/٢٦

(3) تقي الدين الدجوي: «محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حيدة بن محمد بن محمد بن موسى بن عبد الجليل ابن إبراهيم بن محمد تقي الدين أبو بكر الدجوى ثم القاهري الشافعي». اشتغل بالعلم وكان فقيها بارعا متمكنا في العربية واللغة والغريب والحساب والتاريخ. سمع عليه العيني الكتب الستة. ولد سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (٧٣٧)، وتوفي سنة تسع وثمانمائة (٨٠٩).
راجع: شذرات الذهب ص ٨٦/٧، الضوء اللامع ص ٩١/٩

(4) قطب الدين الحلبي: هو «عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد النور بن منير القطب بن المحدث التقي ابن الحافظ قطب الدين الحلبي الأصلي المصري». كان عالما فاضلا تقيا ورعا سمع منه العيني المعجم الكبير للطبراني. ولد سنة ست وثلاثين وسبعمائة (٧٣٦)، وتوفي سنة تسع وثمانمائة (٨٠٩). راجع: الضوء اللامع ص ٣١٧/٤، شذرات الذهب ص ٨٥/٧

(5) المعز الحنفي: هو «حسين بن محمد بن إسرائيل بن ميكائيل المعز مجد الدين الحنفي العين تاب». كان رجلا فاضلا عالما بالقراءات قرأ عليه العيني القرآن الكريم

تلاميذه: نظرا لأن العيني -رحمه الله- برع في شتى العلوم كعلوم اللغة والبلاغة والحديث والتاريخ وغير ذلك، فقد تعددت تلاميذه وتنوعت وكثرت بحيث لا نستطيع حصر عددهم وكثير ممن تتلمذ على ابن حجر تتلمذ أيضا على العيني -رحمه الله- مثل السخاوي بل الحافظ ابن حجر ذاته يعد من تلاميذه.

قال السخاوي في الضوء اللامع[1] أثناء ترجمته للعيني: «أخذ عنه الأئمة من كل مذهب طبقة بعد أخرى وكنت ممن قرأ عليه أشياء وقرض لي بعض تصانيفي وبالغ في الثناء علي لفظا. بل علق شيخنا عنه من فوائده بل سمع عليه ثلاثة أحاديث لأجل البلدانيات بظاهر عينتاب بقراءة موقعه ابن المهندس». اهـ

وممن لازمه وأخذ عنه كثيرا الكمال بن الهمام [2] وابن تغري بردي [3]

وسمعه له حفظا عن ظهر قلب بقراءة حفص وسمع عليه الشاطبية. توفي سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة (٧٩٢).

راجع: عقد الجمان ص ٢٦/٤١٤-٤٢١

(1) الضوء اللامع ص ١٠/١٣٣

(2) الكمال بن الهمام: هو «محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السبواس ثم السكندري ثم القاهري الحنفي المعروف بكمال الدين بن الهمام». كان من المقربين الذين لازموا العيني ظ وسمع منه الكثير، توفي سنة إحدى وستين وثمانمائة (٨٦١).

راجع: عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران لبرهان الدين البقاعي ص ٢/٤، ٧

(3) ابن تغرى بردى: هو «يوسف بن تغرى بردى جمال الدين أبو المحاسن بن الأتابكى القاهري الحنفي». حبب إليه التاريخ فلازم المقريزي والعيني واجتهد في ذلك إلى الغاية وساعده على ذلك جودة ذهنه وحسن تصوره وصحة فهمه حتى فاق أقرانه. ولد في شوال سنة ثلاث عشرة وثمانمائة (٨١٣)، وتوفي في

وخلق كثيرا لا نطيل بذكرهم.

فضله وثناء العلماء عليه: جمع العيني -رحمه الله- من الفضائل أرفعها، ومن الأخلاق أكرمها فكان متواضعا كثير العبادة والتدين جمع الكثير والكثير من العلوم حتى صار من مشاهير عصره.

قال السخاوي: «وكان إماما علاما علامة عارفا بالتصريف والعربية وغيرها حافظا للتاريخ واللغة كثير الاستعمال لها مشاركا في الفنون لا يمل من المطالعة والكتابة»[١].

وقال عنه ابن تغرى بردى: «كان بارعا في عدة علوم عالما بالفقه والأصول والنحو والتصريف واللغة مشاركا في غيرها مشاركة حسنة أعجوبة في التاريخ حلو المحاضرة محظوظا عند الملوك إلا الملك الظاهر جقمق. كثير الاطلاع واسع الباع في المنقول والمعقول لا يستنقصه إلا مغرض قل أن يذكر علم إلا ويشارك فيه مشاركة حسنة»[٢]. اهـ

وقال عنه ابن اياس الحنفي: «كان علامة نادرة في عصره عالما فاضلا له عدة مصنفات جليلة وكان حَسَن المحاضرة جيد النظم صحيح النقل في التواريخ وكان ريسًا حشما»[٣]. اهـ

وقال عنه أحمد بن مصطفى الشهير طاش كبرى زادة: «وكان إماما عالما علامة عارفا بالعربية والتصريف وغيرهما حافظا للغة كثير الاستعمال

خامس ذي الحجة سنة أربع وسبعين وثمانمائة (٨٧٤).

راجع: بدائع الزهور ص ١١٨/٢، هدية العارفين ص ٥٦٠/٢، البدر الطالع ص ٣٥١/٢

(1) الضوء اللامع ص ١٣٢/١٠

(2) المنهل الصافي ص ٣٥٣/٨

(3) بدائع الزهور ص ٢٩٢/٢

لحواشيها سريع الكتابة»[١]. اهـ

وظائفه وجهوده العلمية: أكثر ما انشغل به العيني -رحمه الله- وأفنى عمره فيه هو الجمع والتصنيف والتدريس. فدرس بالمدرسة المؤيدية الحديث أول ما فتحت سنة تسع عشرة وثمانمائة (٨١٩) وظل يدرس بها إلى أن توفي ودرس بالمدرسة المحمودية الفقه واشتغل بتدريس كثير من العلوم كالنحو الصرف والأدب والتاريخ وغير ذلك أما عن الوظائف التي أسندت إليه: فقد تقلد العيني -رحمه الله- منها الحسبة ونظر الأحباس (وهو بمثابة وزارة الأوقاف في عصرنا الحالي) والقضاء. وقل أن تجتمع هذه المناصب الثلاثة مجتمعة لأحد حتى أن السخاوي -رحمه الله- يقول: «ولم يجتمع القضاء والحسبة ونظر الأحباس في آن واحد لأحد قبله»[٢].

ولعل السبب في هذا قربة من الملوك والأمراء فقد كان يجالسهم ويُسامرهم الحديث حتى أنه كان من خصيص الملك المؤيد. ولما استقر الملك الظاهر ططر في السلطنة زاد في إكرامه وإعلاء شأنه ولما تسلطن الملك الأشرف برسباي صحبه واختص به وارتفعت مترلته عنده بحيث صار يسامره ويقرأ له التاريخ الذي جمعه باللغة العربية ثم يفسره له بالتركية لتقدمه في اللغتين ويعلمه أمور الدين حتى حكى أن الأشرف كان يقول (لولا العيني لكان في إسلامنا شيء).

ولكن ولايته لهذه المناصب الثلاثة مجتمعة لم تكن مستمرة زمنا طويلا بل كان كثيرا ما يتولى المنصب فترة بسيطة ثم يعزل عنه ثم يتولاه مرة أخرى وهكذا.

---

(1) مفتاح السعادة ص ٢٦٥/١

(2) الضوء اللامع ص ١٣٣/١٠

فقد كانت أول ولايته للحسبة سنة إحدى وثمانمائة (٨٠١) عوضا عن المقريزي ثم عزل عنها بعد شهر وتكرر ذلك كثيرا وهو يتولاها ويعزل عنه، حتى كانت ولايته لها سنة ست وأربعين وثمانمائة (٨٤٦) وعزل عنها سنة سبع وأربعين وثمانمائة (٨٤٧).

أما نظر الأحباس فأول مرة تولاه كان في سنة أربع وثمانمائة (٨٠٤) وعزل عنه في نفس العام ثم أعيد إليه سنة تسع عشرة وثمانمائة (٨١٩) وبقي فيه إلى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة (٨٥٣).

أما القضاء فقد تولاه مرتين:

الأولى: كانت في سنة تسع وعشرين وثمانمائة (٨٢٩) إلى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة (٨٣٣).

الثانية: كانت في سنة سبع وثلاثين وثمانمائة (٨٣٧)، إلى أن عزل عنه في سنة اثنين وأربعين وثمانمائة (٨٤٢).

إذن؛ فهو لم يستمر فترة طويلة إلا في منصب نظر الأحباس[1] ومن خلال ما تقلده العيني -رحمه الله- من مناصب هامة ندرك مدى قربه للسلاطين ومدى ثقتهم فيه وحبهم له وندرك مدى انشغاله وضيق وقته وبالرغم من ذلك اهتم اهتماما بالغا بالتحصيل والتدريس والتأليف فجزاه الله خيرا.

وفاته: انتقل العيني إلى رحمة الله تعالى ليلة الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة وصلى عليه المناوى بالجامع الأزهر ودفن بمدرسته التي أنشأه خلف الجامع الأزهر وكانت جنازته مشهودة وعظم الأسف

(1) راجع بغية الوعاة ص٢/ ٢٧٥، الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ٢٠٧، مقدمة الكوثري لعمدة القاري ص ٦، ٧، الذيل على رفع الأصر ص ٤٣٤

على فقده رحمه الله رحمة واسعة[1].

obeikandl.com

(1) راجع الضوء اللامع ص ١٠/١٣٣، حسن المحاضرة ص ١/٤٧٤، البدر الطالع ص ٢/٢٩٥